

تاريخ الدولة الإسلامية في العصر العباسي / الدكتور اثير عبد الكريم صادق

تأسيس مدينة بغداد

بعد قيام الدولة العباسية أخذ العباسيون يبحثون عن عاصمة جديدة يطمنون الى ولاء سكانها، فاختاروا مكانا قرب الكوفة سموه هاشمية الكوفة ، ثم انتقلوا إلى شمالي الانبار وبنوا بجوارها مدينة سموها هاشمية الانبار، الا ان هذه المدن لم يطمئن لها العباسيون، وأدركوا حجم الأخطار التي أهدقت بدولتهم الناشئة من كل ناحية ، وكان هدفها تفويض حكم الأسرة العباسية، لهذا اخذوا يبحثون عن مكان يكون ملائما" لعاصمة جديدة تعبر عن سيادة اسرته ووقع اختياره على منطقة تقع بين نهري دجلة والفرات ، عرفت فيما بعد بمدينة بغداد .

التسمية :-

هنالك عدة آراء حول طرحت عن أصل تسمية مدينة بغداد من بينها :-

- مدينة السلام والسلام اسم من أسماء الله الحسنى، أو تشبيها بالجنة ، كما ان نهر دجلة كان يسمى بنهر السلام.
- الزوراء لان مداخلها مزورة أو منحنية على شكل دهاليز أو منعطفات ملتوية لأغراض دفاعية.
- المدورة نسبة الى شكلها الدائري .
- مدينة المنصور نسبة الى اسم مؤسسها ابي جعفر المنصور .
- ويقال أصلها كلمة فارسية يقصد بها بستان الرجل (بغ – داد) وان بغ هو الصنم و داد يعني
- أعطاني فتصبح عطية الصنم أو بغ تعني الشيطان، وفي مصدر آخر قيل معناه مشتق من كلمتين فارسيتين (بغ) ومعناها الله ، و(داد) ومعناها عطية أي عطية الله .
- وقيل أصل التسمية تعود إلى اللغة البابلية (بعل جاد) وتعني معسكر الآلهة او معسكر الجيش البابلي .
- والبعض يرى أن أصلها كلداني مأخوذة من كلمة(بلاد) وهو اسم إله من الآلهة الكلدانية .
- وهناك تفسير آرامي يقصده بيت الغنم .

دوافع اختيار هذا الموقع :-

من دوافع اختيار الموقع الذي اختطت عليه مدينة بغداد هي :-

اولاً/ الدوافع السياسية :-

- 1- لم يحبذ العباسيون ان يتخذوا من مدينة دمشق عاصمة لهم، نظرا" لما تكنه من إخلاص وولاء لبني أمية، فقد كانت هذه المدينة عربية في طابعها وبيئتها وبعيدة عن بلاد فارس مصدر قوة العباسيين .
- 2- لم يستقر العباسيون في الكوفة هذه المدينة التي يرجع تاريخها الى بدايات الفتح الإسلامي للعراق، لان أهل الكوفة معروفين بميولهم العلوية، والعباسيون لا يستطيعون الإقامة في بلد لا يميل أهله إليهم، فقد رأينا أن الخليفة أبو العباس وكذلك ابو جعفر المنصور لم يستطيعا البقاء في الكوفة وانتقلوا الى هاشمية الكوفة ثم انتقلوا منها الى هاشمية الانبار ثم الى المدائن وقد

تاريخ الدولة الإسلامية في العصر العباسي / الدكتور اثير عبد الكريم صادق

وصف ابو جعفر المنصور أهل الكوفة بعد القضاء على ثورة إبراهيم العلوي شهيد (باخري) بأنهم أهل الشقاق والفتن.

3- اما بغداد فكانت عاصمة جديدة خالصة للعباسيين وتقع على حدود الإقليمين العربي والفارسي أي على مقربة من البيئة الفارسية التي يعتز بها العباسيون، وجاء بنائها متوافقا مع رغبة العباسيين في الاحتفاظ بالسلطة والابتعاد عن خطر العلويين والانتقال الى مرحلة الحكم العباسي الصرف، واعتماد سياسة تهدف الى اقامة مجتمع متماسك تتوفر فيه شروط الاستقرار السياسي والاجتماعي.

ثانياً/الدوافع العسكرية

يمتاز موقعها بحصانته من الناحية العسكرية وأهميته الإستراتيجية اذ تقع بين نهري دجلة والفرات، ولا يمكن الوصول إليه الا على قنطرة أو جسر، فإذا قطعت الجسور وخربت القناطر لا يصل إليه عدو، فقد شكل نهرا دجلة والفرات سورا" وخذقا طبيعيين، كما يمتاز هذا الموقع ببعده عن مناطق الحدود البيزنطية مما يجعله آمنا وبعيدا عن غارات البيزنطيين، كما تطورت الوظيفة العسكرية للمدن الإسلامية من حيث كونها معسكرا تنطلق منه الحملات العسكرية للتوسع خاصة وان المسلمين أقاموا في بداية الفتوحات في معسكرات خارج المدن إلى معسكر للجند عد تمصيره بحيث يكون الدفاع عنه أسهل من الدفاع عن المعسكر المكتشف، حيث قيل للمنصور ((وانت بين انهار لا يصل اليك عدوك الا على جسر أو قنطرة فإذا قطعت الجسور وخربت القناطر لم يصل اليك عدوك، وكانت الجسور عبارة عن سفن يشد بعضها ببعض بالسلاسل والحبال وتمتد في مجرى النهر حتى الشاطئ الآخر وتغطي بالواح من الخشب كي يعبر عليها الناس والدواب فالجسر على هذا الوضع متحرك يمكن قطعه وفتح أجزائه لمرور السفن ثم يعاد شده من الجديد كما كان جسر التنومة العائم من قبل أو ما تسمى بالدوب، أما القناطر فهي أبنية ثابتة بعرض النهر، وتبدو المظاهر العسكرية أكثر وضوحا" في أسلوب بناء بغداد وطريقة تحصينها فزيادة في التحصين عمل المنصور على إحاطتها بخندق خارجي تجري فيه المياه عرضه ستة امتار وسور خارجي من الطوب او اللبن الكبير الحجم، وسور آخر داخلي يمتاز عن السور الأول بالسلك والارتفاع وزوده وبابراج الحراسة والمراقبة فهو يعتبر السور الاساسي للمدينة، وسور ثالث يحيط بالميدان، ولكل سور من الأسوار الثلاثة أربعة أبواب حديدية مزدوجة وكل باب منها عبارة بابين باب خارجي وآخر داخلي وبينهما دهليز ورحبة، والأبواب الخارجية مزورة عن الأبواب الداخلية اي ليست على سمتها كي تكون المداخل الى المدينة منحنية فيسهل الدفاع عنها، ولا يستطيع فتح الباب او غلقه الا مجموعة من الرجال فيدخل الفارس بالعلم، والرامح بالرمح الطويل من غير أن يميل العلم ولا ينتهي الرمح وهذا دلالة على ارتفاع الأبواب وسمكها .

ثالثاً/الدوافع الاقتصادية

أما من حيث الدوافع الاقتصادية، فإن العباسيين لم يستقروا في مكة أو في المدينة، لان الحجاز كان بلدا" فقيرا" من الناحية الاقتصادية تكثر فيه الصحاري القاحلة وكان يعتمد على غيرها من البلاد في إمدادها بالموارد الغذائية، وعندما تقطع الميرة عنها تتضرر اقتصاديا"، وهذا لا يتناسب مع مكانة الدولة الإسلامية المترامية الأطراف والأخذة بالتوسع والازدهار كما امتاز موقع

تاريخ الدولة الإسلامية في العصر العباسي / الدكتور اثير عبد الكريم صادق

العاصمة الجديدة بأهميته الاقتصادية كمركز تجاري لوقوعها على الطرق والممرات البرية والبحرية المتصلة ببقية أنحاء البلاد والتي تربط بين الشرق والغرب، وترد إليه المؤن من الشام والجزيرة ومصر والهند والسند والبصرة وواسط وأرمينيا وأذربيجان عن طريق دجلة والفرات وفروعها، وتتوافر فيه سبل العيش وطيب الهواء وجودة الغذاء، كما كانت المنطقة مزدهرة زراعيًا، ومرتبطة بأقنية للري منظمة تنظيمًا "دقيقًا"، كما يمر طريق الحرير بها ومنها يتجه إلى سوريا، كما تمتاز أيضًا بخصوبة أرضها لوقوعها بين نهري دجلة والفرات، فنهر دجلة يروي أراضيها مباشرة لوقوعها على ضفته الغربية كذلك يتصل بها نهر الفرات عن طريق قنوات متعددة .

رابعًا / الدوافع المناخية

ويتميز موقع بغداد بحسن مناخها وطيب جوها مقارنة مع الكوفة والانباء، وقلة الرطوبة رغم الجفاف والحرارة المرتفعة وهو ما يجعل مناخها أفضل من مناخ المدن الساحلية في المنطقة حيث درجة الحرارة معتدلة إلا أنها مشبعة بالرطوبة .

وموقع بغداد قديم كانت تقام فيه أسواق موسمية ويجتمع فيه التجار، وقد استغرق بنائها أربعة أعوام تقريبًا من 145 إلى 149 هـ ، وقد بنيت بغداد على شكل دائري وهو اتجاه جديد في فن بناء المدن لأن معظم المدن الإسلامية كانت اما مستطيلة كالفسطاط أو مربعة كالقاهرة أو بيضاوية كصنعاء، ولعل السبب يرجع الى ان هذه المدن نشأت بجوار المرتفعات حالت دون استدارتها، أو أن المنصور قد تأثر بهندسة بعض العواصم الفارسية القديمة كمدينة همذان مثلا، المهم ان اختطاط بغداد تعد ظاهرة معمارية جديدة في الفن الإسلامي.

خطط المدينة:-

- 1- خندقا خارجي يجري فيه المياه عرضه ستة أمتار.
- 2- سور خارجي من الطوب واللبن الكبير الحجم.
- 3- فراغا كبير للزراعة ويعرف بالفصيل الاول.
- 4- سوراً آخر داخليا أقوى وامتن من السور الاول من حيث السمك والارتفاع وزود بأبراج الحراسة والمراقبة فهو يعد السور الأساسي للمدينة .

- 1- فراغ ثاني فيه السجن ومساكن الحاشية والقواد (يعرف بالفصيل الثاني).
- 2- سورا ثالثا يحيط بالميدان .
- 3- الميدان او الرحبة في الوسط.

وفي الميدان بنى المنصور قصره المسمى (قصر الذهب) وبنى فوقه القبة الخضراء، وبجوار القصر بنى الخليفة المسجد الجامع واقام على جانبي الميدان قصور الامراء ودواوين الدولة المختلفة مثل بيت المال، ديوان الرسائل، ديوان الخراج، ديوان الجند، خزائن السلاح، وكان المنصور لا يسمح لأي شخص الدخول إلى الرحبة الا راجلا"، وفي كل سور من أسوار المدينة الثلاثة أربعة أبواب

تاريخ الدولة الإسلامية في العصر العباسي / الدكتور اثير عبد الكريم صادق

حديدية مزدوجة، كل باب عبارة عن بابين باب خارجي وباب داخلي، وبينهما دهليز ورحبة، والأبواب الخارجية مزورة عن الأبواب الداخلية وعدد هذه الأبواب هي:-

أ- باب الشام يقع في الشمال الغربي.

ب- باب البصرة يقع في الجنوب الشرقي.

ج- باب خراسان يقع في الشمال الشرقي، وقد بنى المنصور خارجه قصرًا على

دجلة سماه (قصر الخلد).

د- باب الكوفة يقع في الجنوب الغربي.

وجلب المنصور أبواب الحديد من واسط والكوفة ليقيمها في بغداد، وأقيمت الأسواق في بداية الأمر على الطرق الرئيسية في مدينة بغداد، ثم أخرج المنصور الأسواق وأصحاب المهن إلى خارج مدينة بغداد إلى منطقة الكرخ لأسباب أمنية فقد تنكر العديد من الجواسيس في زي التجار ثم يندسون داخل المدينة فيعرفون أسرارها وأخبارها وينصرفون دون أن يشعر بهم أحد وربما استطاع بعضهم أن يفتح أبواب المدينة لرفاقه ليلاً وفي هذا خطر على الخليفة وأمن المدينة، وبنى لهم مسجداً جامعاً وقسم السوق في الكرخ حسب المهن والصناعات، فكل أهل تجارة منفردون بتجارتهم، وكل مهنة معتزلون عن طبقتهم.

ثم اتخذ أبو جعفر المنصور معسكراً للجيش الخراساني في رصافة بغداد أو بغداد الشرقية كما تسمى وموقعها على الضفة الشرقية من نهر دجلة مقابل مدينة بغداد الغربية لتكون مقراً لابنه المهدي وقد عرفت (عسكر المهدي) وقد وضع المهدي جنده الخراسانيين فيها وینحصر دورهم في قمع الاضطرابات التي قد تنشب في داخل مدينة بغداد واحاطتها بسور وميدان وبستان واجرى عليها الماء، وربطها ببغداد عبر ثلاثة جسور عقدت على نهر دجلة وخاصة بعد شغب الجند على الخليفة في بغداد، كما منح القادة فيها القطائع، وتم بناء الرصافة سنة 151هـ إلى 159هـ إذ لانتهى بنائها في عهد المهدي العباسي.

مشكلة ولاية العهد :-

وصل المنصور إلى منصب الخلافة والأخطار محدقة به من كل جانب منها خروج عمه عبد الله بن علي ببلاد الشام وإعلانه الخلافة لنفسه، وكذلك خطر أبي مسلم الخراساني الذي سبب له الكثير من المضايقات، وخطر محمد ذي النفس الزكية وأخيه ابراهيم اللذين خرجا عليه أحدهما بالمدينة وهو محمد والآخر بالبصرة وهو ابراهيم، وبعد أن تمكن المنصور من إخماد هذه الأخطار الجسيمة التي أحدثت به في بداية حكمه شعر بعدها أن الجهد الذي بذله في توطيد أركان الدولة وسهره على تنظيم شؤونها لا طائل منه لأن الخلافة ستؤول إلى عيسى بن موسى وهو يعتقد أنه ليس من الحكمة والرأي إخراج الخلافة عن بني فرغ في أن يحفظ الملك في نسله من بعده.

عمد المنصور على تهيئة ولده المهدي للخلافة وبت دعاية واسعة هدفها اقناع الناس بأن محمد المهدي هو المهدي المنتظر ليجابه بذلك دعايات العلويين حول المهديّة، واستغل قابلية الشاعر مطيع بن إلياس في وضع الأحاديث وإشاعته بين الناس إن محمد بن المنصور هو المهدي المنتظر الذي سيملاً الأرض عدلاً".

تاريخ الدولة الإسلامية في العصر العباسي / الدكتور اثير عبد الكريم صادق

وسعى المنصور الى خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، وكان عيسى من كبار رجال بني العباس وقدم خدمات جليلة للدولة، فقد كان واليا على الكوفة منذ أيام ابو العباس السفاح حتى سنة 147هـ وقضى على ثورة محمد ذي النفس الزكية وأخيه إبراهيم، ولكن كل هذه الخدمات لم تشفع له أمام رغبة المنصور، كما ان عيسى بن موسى لم يجرء على الخروج على أبي جعفر المنصور عندما عرض عليه أبو مسلم الخراساني ذلك بعد وفاة أبو العباس إذ رفض عرضه.

الوسائل التي اتبعها المنصور مع عيسى بن موسى :-

حاك المنصور الكثير من الدسائس للإيقاع بولي عهده عيسى بن موسى لكي يصرفه عن ولاية العهد دون إثارة ضجة سياسية في دولته على الرغم من اعتراف أبي جعفر المنصور بجهود عيسى بن موسى الكبيرة وخدماته الجليلة التي قدمها، إلا أن رغبته في خلعه من ولاية العهد والعهد لابنه المهدي طغت على كل هذه الجهود، وسنشير إلى أهم الآراء طرحت حول الوسائل التي استخدمها المنصور مع ولي عهده عيسى بن موسى من أجل إجباره على التنازل عن ولاية العهد لولده محمد المهدي.

1- أرسله للقضاء على ثورة محمد ذي النفس الزكية بالمدينة المنورة سنة 145هـ ومما يؤكد رغبة المنصور في ذلك قوله (لأبالي أيهما قتل صاحبه)).

2- أرسله مرة أخرى على رأس حملة عسكرية للقضاء على ثورة إبراهيم أخي محمد ذي النفس الزكية، لكنه نجا من كل هذه المخاطر فاتبع المنصور.

3- حاول قتله بطريقة غير مباشرة عندما سلمه عبد الله بن علي وطلب منه أن يقتله، لكي يقتله به وهذا ما عبر عنه عيسى بن موسى بقوله للمنصور "دبرت علي أمراً فخشيته فكان كما خشيت".

3- كلمه المنصور برقيق الكلام، ولكن عيسى بن موسى أمتنع قائلاً "فكيف بالعهد والمواثيق التي علي وعلى المسلمين ولان فعلت ذلك يأمر المؤمنين لتكون حجة لمن ترك الوفاء وخان العهد.

4- أحضر المنصور القضاة والشهود فأفتوه بما رأوا في تلك الأيمان وأخبروه كذباً أن عيسى وافق على بيع نصيبه بالخلافة، لكن عيسى أيضاً أمتنع عن التنازل وبيع حقه من الخلافة، فتغير عنه المنصور وباعده بعض المباحة، فأصبح يقرب المهدي منه ويجلسه عن يمينه مجلس عيسى ثم يجلس عيسى عن يساره دون مجلس المهدي.

5- ثم اخذ يأذن لأعيان البيت العباسي بالدخول عليه أولاً ثم يؤخر دخول عيسى بن موسى عليه ، رغم كل هذه المحاولات كان عيسى صامتاً لا يشكو ولا يعتب.

6- اصدر ابو جعفر المنصور لبعض خواصه بنثر التراب على عيسى بن موسى لكي يظهر بمظهر غير لائق أمام الخليفة فيوبخه في ذلك .

6- أرسل المنصور عمه عيسى بن علي لكي يقتع عيسى بن موسى بالتنازل عن ولاية العهد ويقدم ابنه المهدي عليه ولكن عيسى اتهمه بسوء النية .

7- حاول المنصور التخلص من عيسى بن موسى بدس السم له ولكن محاولته باءت بالفشل.

8- حرض المنصور الجند على عيسى بن موسى، فكان إذا ركب تعرضوا له بما يكره واسمعوه من

سيء الكلام والنعوت القبيحة .

تاريخ الدولة الإسلامية في العصر العباسي / الدكتور اثير عبد الكريم صادق

8- اتبع المنصور أسلوب الحجج والافتناع من خلال الكثير من الرسائل التي بودلت بينه وبين عيسى بن موسى وكان يبين كل منهما وجهة نظره بصراحة ووضوح حول مشكلة ولاية العهد .
9- قام المنصور بعزل عيسى بن موسى عن ولاية الكوفة سنة 147هـ واستعمل عليها محمد بن سليمان بن علي اذ امتنع عيسى من تقديم المهدي على نفسه حتى يستخف به الوالي الجديد ولكن الوالي الجديد أكرمه وعظمه وبجله، وربما إقدام المنصور على هذا العمل حتى ينهي سلطة عيسى بن موسى عن ولاية الكوفة بعد أن كان واليا" عليها مدة ثلاثة عشر عاما".

10- حرض المنصور أهل خراسان على عيسى بن موسى فهددوه بالقتل .

11- عرض المنصور على عيسى بن موسى الأموال وأغراه بها لكي يتنازل عن ولاية العهد، كما انه

أشارت المصادر أنه أصبح الاتفاق ان يتولى محمد المهدي الحكم ثم يصبح عيسى بن موسى

ولي عهده من بعده.

12- بعث المنصور الى خالد بن برمك وطلب منه ان يكلم عيسى بن موسى مستخدما الحيلة فطلب خالد منه ثلاثين رجلا من شيعته فساروا الى عيسى وكلموه ولكنه رفض، فرجعوا وفي طريق العودة اشاروا على خالد بن برمك ان يشهدوا لدى الخليفة ان عيسى قد خلع نفسه من ولاية العهد وقدم المهدي على نفسه فأخبروا المنصور بذلك فكتب بالبيعة للأفاق فأنكر عيسى بن موسى فدعاه المنصور وشهدوا عليه انه خلع نفسه فشكر المنصور خالد بن برمك على ذلك، وهذه الرواية مشكوك بصحتها.

13- أخبر عيسى بن علي المنصور ان عيسى بن موسى لا يطمع بالحكم لنفسه، فلو تظاهرت بانك قتلت موسى ولده إذا امتنع أبوه عن النزول عنها، فاحضر المنصور موسى بحضرة أبيه عيسى وأمر الربيع بن يونس بختقه فلف الربيع حمائل سيفه حول عنقه متظاهرا " انه سيخنقه، عند ذلك تنازل عيسى بن موسى عن ولاية العهد، وهذه الرواية ايضا" مشكوك فيها.

14- ويذكر الطبري انه تنازل عنها برضى منه وركونا منه إلى الدراهم وقلة علمه بقدر الخلافة وطلبها" للخروج منها، وهذا الرأي ايضا مشكوك فيه ومستبعد أيضا.

نلاحظ مما سبق ان عيسى بن موسى قد تعرض لضغط نفسي من قبل المنصور ومؤيديه من اجل إجباره على التنازل عن ولاية العهد لولده المهدي، فاستجاب لذلك خوفا من وقوع الفرقة والاختلاف في البيت العباسي، تنازل عيسى عن ولاية العهد على أن تكون له بعد المهدي، وإعطائه وولده موسى خلعة من الأموال كبيرة جدا، واقطعه قطائع وولاه الكوفة والأهواز ولم يرق هذا العمل للكثير من أبناء البيت العباسي، لان فيه خروجا" على العهود والمواثيق التي أخذت عليهم .

